

الرؤية.. تلك الكلمة التي نحتاج إلى تفعيلها في واقعنا نحن الشباب، فكم منا يتحرك برؤية واضحة قوية ملهمة؟! وأي شيء يثير الحماس ويبعث على مواصلة العمل، كروية ملهمة نابعة من رسالة نبيلة؟<?ecapseman:lmx?> prefix = o />

ولعل قليل من القصص يغني عن كثير من الكلام، ولهذا سنعرف في هذا المقال نموذج عظيم للرؤية الملهمة ونتبعه بنموذج آخر، حتى نكتسب هذه الروح المتوثبة التي تتحرك في الحياة برؤية واضحة ملهمة..

النبي صلى الله عليه وسلم:

لقد كانت حياة النبي صلى الله عليه وسلم مليئة بالفوائد والدروس البليغة، ومن بين درر الفوائد وكنوز الدروس نجد "الرؤية الملهمة" في حياته صلى الله عليه وسلم، فقد كان خير مثال لصانع الرؤية الملهمة، ولعل موقف الخندق من أعظم المواقف التي تدل على ذلك:

فها هو النبي مع أصحابه في المدينة محاصرين، تكالب عليهم الأعداء من كل جانب، فهذه قريش وغطفان قد جمعت الآلاف، وعسكرت على مشارف المدينة تنتظر الأمر بالهجوم الضاري.

ومن جبهة اليهود تأتي خيانتهم كالعادة سيفاً يطعن في ظهر المسلمين، بتعاونهم مع كفار قريش ضد النبي صلى الله عليه وسلم وصحبه، ليصبح جنوب المدينة المنورة ثغرة يمكن للكفار النفاذ منها.

وهكذا صار المؤمنون يتهددهم خطر عظيم، فقد زادت جيوش الأحزاب في تشديد الحصار على المسلمين بعد انضمام بني قريظة إليها، واشتد الكرب على المسلمين، وتأزم الموقف.

وقد تحدث القرآن الكريم عن حالة الحرج والتدهور التي أصابت المسلمين ووصف ما وصل إليه المسلمون من جزع وخوف، وفرع في تلك المحنة الرهيبة أصدق وصف، حيث قال تعالى: {إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا . هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديداً} [الأحزاب: ١٠١ - ١١] [السيرة النبوية، د. الصلابي، ، (3/328)]

بعد ذلك كله يأتي فريق أظهروا إيماناً وأبطنوا كفراً، إنهم فريق المنافقين الذين انسحبوا من الجيش بحجة أن بيوتهم عورة، ليرتكوا أهل الإيمان وحدهم إلا من توفيق الله لهم وعزيمتهم الصلبة، ولم يكتفوا بالانسحاب بل راحوا يخذلون صفوف المؤمنين، حتى قال واحد منهم يدعى معتب بن قشير: (كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر، وأحدنا لا يأمن على نفسه أن يذهب إلى الغائط!) [السيرة النبوية، ابن كثير، (2/346)]

وفي خضم تلك الأمواج المتلاطمة من المحن، يعترض طريق المسلمين في حفر الخندق صخرة عظيمة، لم يقدر على إزالتها، فيهرعون إلى النبي صلى الله عليه وسلم مستنجدين به في إزاحتها، فيشمر عن ساعد الجد، ويضرب الصخرة ثلاث ضربات، تتحول بعدها إلى فتات متناثر.

ومع كل شرارة يحيي النبي صلى الله عليه وسلم الأمل في نفوس أصحابه ويرسم لهم معالم الرؤية المشرقة لمستقبل الإسلام، فيقول في الأولى: (الله أكبر، أعطيت مفاتيح الشام، والله إنني لأبصر قصورها الحمراء الساعة)، ثم الثانية: (الله أكبر، أعطيت مفاتيح فارس، والله إنني لأبصر قصر المدائن أبيض)، ثم الثالثة: (الله أكبر أعطيت مفاتيح اليمن، والله إنني لأبصر أبواب صنعاء من مكاني هذه الساعة) [السيرة النبوية في ضوء مصادرها الأصلية، مهدي رزق الله، ص(944)].

فكانت كلماته صلى الله عليه وسلم صانعة لرؤية عظيمة، أذكت همم الصحابة، فانطلقوا يرتجزون:

اللهم لولا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا

فأنزلن سكينة علينا وثبت الأقدام إن لاقينا

إن الأعداء قد بغوا علينا وإن أرادوا فتنة أبينا

ثم تتحقق الرؤية، ويتحول النموذج المصغر إلى حقيقة واقعة بعدها بسنوات قلائل، فيفتح الله على المسلمين حصون كسرى وقيصر واليمن.

قصة كفاح:

في العظمة والفاعلية، وهؤلاء لن يباريهم أحد في ذلك أراك تقول: تحدثنا عن النبي وصحابته وهم الأفاذا المضمار لأنهم جيل رباني صنعه الله على عينه؟!

وربما يكون في كلامك شيء من المنطق، ولكن ما بالك بشخص عادي، مثلي ومثلك، استطاعت الرؤية أن تصل به إلى القمة؟!

إنها قصة الشيخ زكي عثمان، أحد أساتذة الأزهر الشريف، النشأة كانت في محافظة قنا عام 1359م، والده إنسان بسيط متدين، ولديه أربعة أشقاء وثلاث شقيقات، عاش حياة يخيم عليها الهدوء، لكن حين أصبح عنده عا مان ونصف ساقه القدر إلى تحدي صعب واختبار مرير، فقد أصابته حمى شديدة أصيب على إثرها بشلل الأطفال وفقد البصر.

وتحول سكون الأسرة وهدوئها إلى غدو ورواح ينقبون عن طبيب حاذق يصف لها دواء لحالتها، فقد كان هذا هو شغلهم الشاغل، لكن الأطباء الذين بذل وقته الطويل في زيارتهم قد أجمعوا على أنه لا علاج له وأن حالته ميؤس منها.

الفراش فاقد البصر، وكان لهذا التشخيص وقع الصدمة على أهله وأحبائه، فكم ألمهم رؤية الابن الناشئ طريح بينما يلعب الأولاد من حوله ويمرحون، وفي ظل هذه المعاناة انقسمت الآراء داخل العائلة بين فريق يرى في نهاية النفق المظلم أشعة ضوء تحاول أن تجد لها موضعاً، وفريق آخر يرى أن لا أمل لهذا الطفل في الحياة، ولكن الوالدين رفضا الاستسلام لتلك الظروف، وأعلنوا التحدي، وبدأ كل منها يساعد هذا الصغير في رسم لوحة حياته.

كانت الخطوة الأولى أن ألحقه بالكتاب حيث حفظ القرآن الكريم كاملاً، وظل حتى عمر 16 عاماً دون الالتحاق بالمدرسة.

ولكن أحلام الشاب زكي عثمان لم تتوقف عند الحفظ فحسب، بل تعدته لكي يؤدي زكاة هذا الحفظ، أن يكون خطيباً وإماماً وواعظاً، ولم يقنع باتقانه للغة العربية وآدابها، بل اللغة الإنجليزية أيضاً؛ مما دفعه إلى تعلم تلك اللغة عبر جهاز الراديو حتى أتقنها.

ورأى الشاب اليافع أن يستكمل دراسته المدرسية، فالتحق مباشرة بالصف الأول الإعدادي في معهد عثمان ماهر الأزهرى، وهو ابن ستة عشر عاماً، واستثناءه القائمون على إدارة المعهد من المرحلة الابتدائية لأنه كان يحفظ القرآن كاملاً.

والتحق بعدها بمعهد القاهرة الثانوي، ومكث هناك أربع سنوات، وكانت رحلته إلى المعهد كل يوماً كفاحاً بكل ما تحمل الكلمة من معنى، فكيف لمصاب بالعمى وشلل الأطفال أن يقطع الطريق لمعهده؟! تخيل - عزيزي القارئ - كان يذهب يومياً إما محمولاً على الأكتاف أو زاحفاً على الأرض، وإن كان الأمر في شهور الصيف يسيراً نوعاً ما، فما بالك بشهور الشتاء حين تغمر الأمطار الأرض، فيزحف ذلك الرجل الهمام بين الطين والماء، دون كلل أو ضجر؟!

وتأمل - عزيزي القارئ - حينما سقط الشيخ البطل على الأرض في يوم من أيام الشتاء، فينتشله أحد العابرين بجواره، ويحمله رغم تلطخ يده بالطين ويضعه في الأتوبيس ويطلب من السائق أن يهتم به. أربع سنوات من الكفاح المتواصل، لم تقف فيها أمطار الشتاء عائقاً ولا حرارة الصيف، ولم يفت ألم الشلل في عضده، حرم من نعمة البصر، ولكن لم يحرف من بصيرة ورؤية ثاقبة لم تغب عن عينه قط. أربع سنوات نجح بعدها في الالتحاق بكلية أصول الدين، وحصل على درجتي ليسانس من ذات الكلية، إحداهما في الدعوة عام 1979م، والأخرى في التفسير عام 1391م، ثم حصل بعدها على درجة الماجستير، وكان عنوان رسالته لنيل تلك الدرجة هو "منهاج الإسلام في التنمية الاقتصادية"، ثم حصل على درجة الدكتوراه في موضوع "الدعوة الإسلامية في القرن السادس الهجري" بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى.

وبدأ الشيخ مرحلة توظيف ما تعلمه لخدمة هذه الأمة فعمل متحدثاً في الإذاعة، وتدرج في كلية أصول الدين حتى صار رئيس قسم الثقافة الإسلامية، فتعلم المسلمون من كلماته الإذاعية واستفاد تلامذته من علمه وفقهه حيث أشرف على 17 رسالة للدكتوراه، وصاغ للأمة 24 مؤلفاً في فروع مختلفة من الفقه والشرعية [أيقظ قدراتك واصنع مستقبلك، إبراهيم الفقي، ص(56-06)، بتصرف].

ختاماً..

كان ما سبق شعاع من الرؤية أرسلناه إليك، لتلمس أثره وتنطلق خلفه، وتبدأ أولى خطواتك نحو صناعة رؤيتك الملهمة، وللحديث بقية..

من موقع : موقع الشيخ محمد فرج الأصفر
رابط الموقع : www.mohammdfarag.com